

استعارات الجنوسة في الترجمة

يتميز تاريخ الترجمة بجداولات معروفة حول أفضل الطرق لأن يكون المترجم "مخلصا". ولذلك فليس من الغريب أن يتم تعريف الإخلاص في الترجمة باستمرار من حيث النوع والجنس. بينما استخدم المنظرون والمترجمون الكثير من الاستعارات لشرح عمل المترجم (على سبيل المثال؛ الترجمة مثل الرسم أو النسخ أو وضع الأشياء في ملابس جديدة أو مثل القراءة أو الكتابة نفسها)، إلا أن الاستعارات التي ترتبط بالنوع تكشف النقاب عن شيء من سياسة الترجمة، فهي تكشف عن القلق بشأن الأصول والأصالة؛ و الصراع حول معنى الاختلاف.

وهكذا فإن موضوع الإخلاص ليس مجرد مسألة كيف يمكن صياغة العلاقة بين النص الأصلي والمترجم ولكنها أيضا أصبحت أحد مسائل العقد الذي يميز هذا الزواج. في الواقع إن الأزواجية التي تميز هذا العقد في كثير من الثقافات تتمسك أيضا بالطريقة التقليدية في رؤية العلاقة بين النصين الأصلي والمترجم؛ ومثلما أن إخلاص المرأة - وليس إخلاص الرجل ونقائه الجنسي - هو الذي يصنع الفارق، فإنه يتم النظر إلي الإخلاص بطرق مختلفة بالاعتماد على ما إذا كان النص يعد الرجل أم المرأة. كما ينصح بيير دانيال هويت Pierre Daniel Huet في كتابه *De interpretatione libri duo* الذي كتبه في القرن السابع عشر (1666, in Lifevere 1992b: 93) "ينبغي أن نمنع أي تصريح للمترجم كما في حالة عذراء جميلة ومتواضعة ونحاول أن نمنع عنها وقاحة الرجال سيئي المزاج"

وقد تختلف المصطلحات المستخدمة في النقاشات المختلفة للتعبير عن الإخلاص (هل ينبغي أن يكون المترجم خاضعا للنص الأصلي أم ينبغي أن يتحكم فيه كما يتحكم المحارب المنتصر في أسيره؟) ولكن المصطلح المستخدم دائما يستخدم بصيغة التأنيث. وهكذا فإن نظريات الترجمة تعطي - بشكل مجازي - صفات بشرية فتوصف بأنها إما فتاة بكر شريفة أو أنها امرأة عاهرة أو محبة غير مخلصه. وقد سيطر على المترجمين القلق من أن تدنس الترجمة طهارة اللغة الأم وينتج عن ذلك أبناء غير شرعيين؛ وسيطر عليهم قلق مساو على قوة النص الأصلي، وتكررت الشكوى من أن النص الأصلي قد تم إضعافه. وهكذا فإن فعل الترجمة قد أصبح مقابلا لأفعال الجنس والاعتصاب.

نظرة عامة تاريخية حول استعارة النوع في الترجمة

من الناحية التاريخية بدأ التقسيم النوعي للترجمة بشكل مبكر في القرن السابع عشر عندما ابتكر Gilles Menage عبارة *Les belles infidels* في عام ١٦٥٤. وهذه العبارة لا فقط

تحتوي على تشابه صوتي بين الجمال وعدم الإخلاص في اللغة الفرنسية؛ وإنما على أحد الهموم الثقافية المنتشرة حول الإخلاص في الزواج وفي الترجمة معا. وكما في الزواج؛ شأن الترجمة؛ ليس هناك ما يضمن الشرعية إلا عهد الإخلاص؛ وهو بعبارة أخرى ما يضمن نسب الذرية للأب. فالموضوع المهم في كلتا الحالتين هو سلطة الأب/الكاتب. فرغم أن الأمومة هي عملية ثابتة بيولوجيا فإن الأبوة ليست كذلك، ولهذا السبب كان للمترجم القدرة على إخفاء أصول النص. باختصار فإن بإمكانهم إخراج نصوص ليس لها نسب شرعي؛ وهو الخوف الذي وضح جليا لدى Schleiermacher في وثيقته الشهيرة عن الترجمة (١٨١٣)؛ انظر التراث الألماني؛ استراتيجيات الترجمة). وفي جداله حول موضوع ما إذا كان ينبغي الاحتفاظ بالإحساس الأجنبي الأساسي الموجود في النص في نسخته المترجمة فإن Schleiermacher يفصل الموضوع كما يلي: "من لا يحب أن يسمح للغته الأم أن تتقدم في كل مكان في أكثر الأساليب جمالا في العالم في كل نوع؟ من لا يفضل أن يصبح أبا لأبناء هم نسخة تماما منه وليسوا أبناء سفاح؟ (١٨١٣)؛ Lefevere 1977: (79).

ان المترجمين أيضا قاوموا بالطبع مسألة تجنيس الترجمة أو المترجم كأنتى؛ ولكنهم فعلوا ذلك بناء على ميلهم الطبيعي لاعتبارهم ذكورا في هذه المقابلة الثنائية. وهكذا فنحن نرى أحيانا بعض المناقشات حول الترجمة ينصح فيها المترجم بشكل غير مباشر أن يغتصب الدور الطبيعي للكاتب. وينصح إيرل أوف روزكومون The Earl of Roscommon المترجم أن "يختار الكاتب كما يختار صديقه". من خلال الصداقة يصبح المترجم هو الكاتب (١٦٨٥)؛ in T.R. Steiner 1975: (77):

United by this Sympathetick Bond
You grow Familiar, Intimate, and Fond;
Your thoughts, your Words, your Stiles, your souls agree,
No longer his Interpreter, but He.

بينما يتم تقديم المترجم هنا على أنه هو الأب/الكاتب وأن النص هو الأنتى التي يجب معاملتها
بحنو أبوي (مصدر: ٧٨):

With how much ease is a young Muse Betray'd
How nice the Reputation of the Maid!
Your early, kind, paternal care appears,
By chast Instruction of her Tender Years.

The first Impression in her Infant Breast
 Will be the deepest and should be the best.
 Let no Austerity breed servile Fear
 No wanton Sound offend her Virgin Ear.

لذلك فإن واجب المترجم هو صيانة عفاف وعذرية النص واللذان يتم خيانتها بسهولة. وتسير الاستعارة هنا بشكل طبيعي لأن العذرية - على الأقل للمرأة - كانت في أحد الأوقات تعد شرطاً أساسياً للزواج. لذلك فالاهتمام الاجتماعي بتنظيم الحياة الجنسية للمرأة تم ترجمته إلى القلق حول الميزة التي تعطي المرأة مكانة متميزة.

هذه المناقشات حول موضوعات الإخلاص تم صياغتها بلغة أبوية: حماية الجنس الأنثوي والقلق عليه. ولكن باستخدام اللغة الاستعمارية ولغة الفتوحات فإن نظرية الترجمة غالباً ما دعت إلى نوع من العنف تجاه النص؛ فيجب أن يتم اختراق النص وأسرته كما يعلن توماس درانت Thomas Drant في ترجمته لهوراس Horace في القرن السادس عشر (-112: 1920 In Amos 1566): (13)

أولا فعلت الآن كما أمرت أن يفعل رجال الله في سبائهم من النساء اللواتي يتميزن بالحسن والجمال: فقد حلقت له شعره تماماً وقلمت له أظافره؛ أي أنني نزعته منه كل مظاهر الغرور والخيلاء... وقد عدلت له من هيئته ولينته من خشونته وأظنبت له في خطابه المتقطع وغيرت من كلماته ولكنني لم أغير من الجمل التي استعملها أو على الأقل فإنني لم أغير من مقصده.

وهذه القطعة الإنجيلية التي يشير لها Drant تلخص كيف ينبغي التعامل مع السبية حتى تصبح زوجة: "ثم يمكنك أن تحضرها إلى منزلك حيث ستقوم هي بحلاقة رأسها وتقليم أظافرها" (Deut 21:12 Revised Standard Version). وكان على Drant، وهو رجل دين يترجم لكاتب علماني، أن يجعل من هوراس "زوجة" مناسبة. وفي ذلك السياق يحول Drant هوراس إلى أنثى بالمعنى الاستعاري - وهو ما يظهر في استخدام الضمير المذكر مع ما يظهر أنه امرأة. والعنف الجنسي الذي ألمح إليه Drant في استعاراته الاستعمارية يعكس العنف الجنسي الذي كان يصحب الفتوحات في تلك الأيام؛ حيث كان الاغتصاب بكل أسف جزءاً من الحرب.

استعارات الجنوسة في دراسات الترجمة الحديثة

احتفظت نظريات الترجمة الحديثة بالخصائص الجنسية لعملية الترجمة. فعلى سبيل المثال يتضح ذلك في الحركة التصريحية لجورج ستينير (George Steiner) حيث يقوم المترجم باختراق وأسر النص بأفعال يتم تشبيهها بكل تصريح بالامتلاك الشهواني. ولتعويض هذه النشوة الملائمة يجب على المترجم أن يقوم ببعض التعديلات أو يحاول بعض الأفعال التبادلية ليعوض ذلك العدوان الشهواني. والنموذج الذي وضعه Steiner لذلك مشتق من فكرة Anthropologie structurale التي وضعها ليفي شتراوس (Levi Strauss) والتي "تنظر الى التركيبات الاجتماعية على انها محاولات لخلق نوع من التوازن الديناميكي من خلال تبادل الكلمات والنساء والأشياء المادية" (Steiner 1975: 302). ولا تختلف الصورة الاستعارية التي استخدمها Steiner كثيرا عن التي استخدمها Drant حيث يوجد الكثير من التشابه بين اللغة الشهوانية التي استخدمها مع لغة Drant الاستعمارية.

وفيما يعد امتداداً للعمل Steiner ، يجادل (Serge Gavronsky 1977) بأن النموذج الأدبي يمكن أن يفسر التزام المترجم الذي يبدو متناقضا في الظاهر لأن يعطي النص "توجيهات عفيفة" (كما قال عنها The Earl of Roscommon) وأن يغتصبها. وفي النماذج ذات النزعة الأبوية - أو ما يسمية بالنماذج "التقية" - يجادل Gayronsky بأن "المترجم يعد نفسه كالطفل ابن الأب المبدع - منافسه - بينما يصبح النص هو موضع الرغبة التي تم تعريفها بشكل شامل في الشخصية الأبوية" (Ibid: 55). وعلى العكس من ذلك يقوم المترجم "المتوحش" بأسر النص واغتصابه ويقطع أوصاله بما يعجز عنه الوصف (Gavronsky) (Ibid: 60). وكلا النموذجان يعتمدان على نموذج بطريكي للسلطة حيث يكون على الابن المترجم إما أن يطيع أو يدمر الأب الكاتب. والتضارب الواضح في هذا النموذج الاستعاري يتضح أيضا في العالم الواقعي للترجمة. فادعاءات المترجمين بالأصالة والسلطة والتي تظهر في الإشارة إلى الأفعال الفنية والإبداع البيولوجي تقف في تضاد حاد مع المكانة التي تشغلها الترجمة في الترتيب الهرمي القانوني أو الاقتصادي أو الأدبي. وبموجب القانون الأمريكي لحقوق النشر على سبيل المثال فإن الترجمة تعد عملا اشتقاقيا مثل الأداء الموسيقي (انظر Venuti 1995). وفي معظم الوقت يتلقى المترجم مبلغا زهيدا من المال وما زال من النادر أن يستحق المترجم أكثر من سطر أو سطرين في مقالة لعرض كتاب (انظر المراجعة والنقد). بالإضافة إلى ذلك فإن المؤسسات الأكاديمية بشكل عام لا تنتظر إلى مشروعات الترجمة بشكل ملائم كما تنتظر إلى مشروعات رسائل الدرجات العلمية أو كأساس

للحصول على موقع متميز بها. ولكن في الوقت نفسه، فإنه من الخطأ القول بأن المترجم ليس له حول ولا قوة. فالمترجم كان له اليد العليا في تشكيل عملية استقبال بعض النصوص وفي تعريف تقاليد أدبية وثقافية معينة.

وقد أثارت النظرية الحديثة الشكوك حول السياسات المتأثرة بالنوع في السلطة والأصالة؛ والتي تظهر آثارها ليس في دراسات الترجمة فحسب، ولكن أيضا في الكثير من الفروع ذات العلاقة. ومن أكثر نظريات الترجمة الحديثة نفوذا كانت نظرية جاك دريدا (Jacques Derrida 1979, 1985a). ودريدا Derrida - الذي استقى الكثير من مصطلحاته من معجم الاختلافات الجنسية مثل مصطلحات الـ Dissemination, invagination, hymen - يعرض مسألة النوع كإطار مفاهيمي لتعريفات المحاكاة (mimesis) والإخلاص والتي شكك فيها بدوره. ويدفع دريدا بأن قانون الترجمة يتطلب التعدي فيصبح بذلك من المستحيل تحقيق الإخلاص. ويشير إلى تلك الرابطة المزدوجة باسم hymen (البكارة) وهو مصطلح يجمع بين العذرية وتحقيق الزواج. وبإفساد خاصية استقلال ومميزات النص الأصلي فإنه يدافع لصالح استقلال الكتابة والترجمة؛ وضمنا يهاجم سياسات الترجمة التي تعتمد على العنف الجنسي.